المحاضرة الخامسة

مقياس النظريات السوسيولوجية الحديثة

السنة الثانية ليسانس علم الاجتماع

أهم الإسهامات السوسيولوجية لبيير بورديو

نبذة عن حياة بورديو:

ولد (بيير بورديو) سنة 1930. درس بورديو الفلسفة في مدرسة المعلمين العليا في باريس ونال فيها شهادة الأستاذية في الفلسفة في عام 1954م. وكان (جاك دريدا) الفيلسوف الفرنسي الشهير من الذين تخرجوا في نفس الدورة. أطلع بورديو على أعمال (ماركس ( )وجان بول سارتر (وفي الوقت الذي كان المذهب الوجودي يطغى على الأوساط الفلسفية، توجه بورديو نحو دراسة المنطق وتاريخ العلوم ثم تابع حلقة دراسية في التعليم العالي حول فلسفة الحق عند هيجل. ولكن، بعد تجربة قصيرة له كأستاذ في إحدى الثانويات، دعي من قبل المكتب النفسي للجيوش في مدينة فرساي ولكن لأسباب تأديبية أرسل بسرعة إلى الجزائر حيث أدى هناك القسم الأساسي من خدمته العسكرية. ومن 1958الى1960م تمنى أن يتابع دراساته عن الجزائر. فدرس في كلية الآداب في الجزائر واهتم بالدراسات الأنثروبولوجيية والاجتماعية وكتب بعد عودته إلى فرنسا مباشرة كتابا بعنوان (سوسيولجيا الجزائر). ثم أصدر كتابا آخر بعنوان (أزمة الزراعة التقليدية في الجزائر). وبدأ يدرس الفلسفة في السوربون ثم أصبح مديرا لقسم الدراسات في مدرسة الدراسات العليا، ثم مديرا لمعهد علم الاجتماع الأوربي، كما انتخب عام 1982م لكرسي علم الاجتماع في «الكوليج دو فرانس»وهي أعلى هيئة علمية في فرنسا. وكانت محاضرته الافتتاحية في «الكوليج دو فرانس «بعنوان "درس في درس" وقد جال فيها بجدارة في ميادين النقد الاجتماعي والسياسي والتربوي والنفسي وختمها بالتحذير من ظاهرة التسامي الزائف التي تنشأ عن إساءة استخدام المعرفة. وهكذا ظل يدرس ويحاضر فيها لغاية عام 2001م. كان بيير بورديو على موعد مع الشهرة مبكرا بعد إصداره كتاب (الورثة (بالاشتراك مع (جون كلود باسرون) ولكن تألق نجمه مع ثورة الطلاب عام 1968م التي جذبت وركزت أنظار المجتمع الفرنسي ووسائل الإعلام على الجامعة والنظام التعليمي.

وقف بورديو على الدوام ضد النظام التعليمي القائم على تلقين المعلومات ونقد بشدة المدارس ومناهجها. وحسب رأيه يجب أن تكتفي الدولة بتعليم التعليم وتدريب الناس على تحصيل المعرفة. فالرجل يرفض الادلجة ولا يقبل أية شبهة للتأثير السياسي في التعليم.

طرح (بورديو) عددا من المفاهيم والاستعارات القوية من أجل صياغة تحليله لعلاقة :

القوة والسيطرة

وذلك في الفضاء الاجتماعي. وقد أسس بورديوموقفه النظري من خلال مقال كتبه عام 1970م بعنوان (مخطط تمهيدي لنظرية الممارسة).توفي بورديو سنة 2002.

من أهم أعماله:

- سوسيولوجيا الجزائر (1958).
- الوَرَثَة. الطلبة والثقافة (1964).
- إعادة الإنتاج. أصول نظرية في نظام التعليم (1970).
- التمييز-التميز. النقد الاجتماعي لِحُكم الذوق (1979).
- الْحِس العملي (1980).
- ما معنَى أن تتكلم. اقتصاد التبادلات اللغوية (1982).
- درس في الدرس (1982).
- مسائل في علم الاجتماع (1984).
- الإنسان الأكاديمي (1984).
- أشياء مَقُولة (1987).
- الأنطولوجيا السياسية عند مارتن هيدغر (1988).
- إجابات. من أجل إنسيّات انعكاسية (1992).
- قواعد الفن. تكوُّن وبنية الْحقل الْأدبي (1992).
- بؤس العالَم (1993).
- عِلَلٌ عَمَلية. في نظرية الفعل (1994).
- في التلفزة (1996).
- تأملات باسكالية (1997).
- السيطرة الذكورية (1998).
- البنيات الاجتماعية للاقتصاد (2000).
- علم العلم والانعكاسية (2001).
- تدخلات. العلم الاجتماعي والعمل السياسي 1961-2001، (2002).
- حفلة رقص العُزَّاب: أزمة المجتمع القروي ببيارن، 2002.
- توطئة لتحليل-ذاتي (2004).

تكوينه النظري:

تأثر بيير بورديو في تكوينه وبناء تصوراته النظرية والتطبيقية بمجموعة من المنظرين و المفكرين الكبار ونجد منهم :

1- ماكس فيبر في البعد الرمزي.
2- كارل ماركس في رأس المال.
3- اميل دوركهايم في التفسير السببي.
4- كلود ليفي ستروس ومارسال موس في البنيوية.
5- موريس مارلوبونتي وهوسرل في الفينومينولوجيا وفكرة الجسد الخاص.

6- فيتجنشتاين في فكرة الطبيعة.
7- باسكال في فكرة قواعد الفاعلين المجتمعيين.

أهم افكاره:

تظهر العديد من أفكار بورديو خاصة السوسيولوجية منها من خلال المفاهيم الأساسية التي طرحها ومن هذه المفاهيم نجد:

السوسيولوجيا:

السوسيولوجيا عند بورديو هي عملية علمية انتقاديه أي هي عملية المزج بين ماهو علمي ونقدي ،بحيث ان دور السوسيولوجي يكمن في تعرية الواقع ذلك الواقع الذي سماه بورديو بواقع الهيمنة والقوة و النفوذ.ومن مهام السوسيولوجيا والسوسيولوجي هو انتقاد المجتمع الليبرالي المعاصر حيث ان هذا الاخير لا يمكن له إلا ان يكون مجتمعا يتميز بالظلم واللامساواة وصراع الحقول والطبقات و التفاوت.

ولكن شدد بورديو ونبه الى ان الدور الذي تلعبه السوسيولوجيا لا يجب ان يكون دورا سياسيا او ايديولوجي فقط وانما يجب ان تتميز السوسيولوجيا عند ه بالطابع العلمي المنطقي.

اعادة الانتاج:

ركز بورديو اهتمامه على النظام التربوي الفرنسي مع جون كلود باسرون Jean claude passeron وذلك في كتابهما إعادة الإنتاج حيث تناولا المفهوم بالتحليل والدراسة و التقويم، ويمكن القول ان هذا الثنائي -بورديو وباسرون – هما اللذان منحا ولادة ثانية لسوسيولوجيا التربية حيث انهما انطلقا من فرضية مفادها ان المتعلمين لايملكون الحظوظ نفسها في تحقيق النجاح الدراسي وهذا راجع بالدرجة الاولى الى مجموعة من العوامل وعلى رأسها :

- المكانة الاجتماعية للأسرة.
- التراتبية الاجتماعية والتفاوت الطبقي
- الفروقات الفردية عند التلاميذ.

فلاحظ كل من بورديو وباسرون ان الثقافة التي يتلقاها المتعلم في المدرسة الفرنسية الرأسمالية – من خلال البرامج طبعا-ليست ثقافة نزيهة او موضوعية او بريئة او محايدة بل هي ثقافة مؤدلجة تعبر عن ثقافة الهيمنة وثقافة الطبقة الحاكمة ، فالمدرسة حسب بورديو لا تحرر المتعلم وانما تسعى الى ادماجه في مجتمع يتميز بثقافة التوافق والتطبع والانصياع والانضباط المجتمعي ومن هنا فان المدرسة هي أداة أساسية لإعادة الانتاج فهي مدرسة اللامساواة.

العنف الرمزي:

قدم بورديو نقدا للماركسية في كونها تغاضت عن العوامل غير الاقتصادية ليس بمعنى ان بورديو بدوره اهمل اهمية العامل المادي ولكن في نفس الوقت هناك عوامل اخرى لها اهميتها ايضا وخاصة العامل الثقافي ، إذ أن الفاعلين المسيطرين، في نظره، بإمكانهم فرض منتجاتهم الثقافية (مثلا ذوقهم الفني) أو الرمزية (مثلا طريقة جلوسهم أو ضحكهم وما إلى ذلك). فالعنف الرمزي هو قدرة المسيطر على فرض المنتجات الرمزية وجعلها ذات اهمية و قيمة ومرجع بالنسبة للمسيطر عليه.

الحقول الاجتماعية :

يوظف بورديو مفهوم الحقل الاجتماعي بمعنى الفضاء الاجتماعي بحيث انه يرى أن العلاقات الاجتماعية، في المجتمعات الحديثة، تنقسم إلى حقول، أي فضاءات اجتماعية أساسها نشاط معيَّن (مثلا: الصِّحافة، الأدب، كرة القدم، الفن.....) يتنافس فيها الفاعلون لاحتلال مواقع السيطرة (مثلا، يريد الصحافي أن يشتغل في أوسع وأقوى جريدة وبعدها يحاول أن يحصل على أعلى منصب في تلك الجريدة، إلخ.). فعلى غرار التصور الماركسي، يبدو العالَم الاجتماعي، عند بورديو، ذا طبيعة تنازُعيَّة، غير أنه يؤكد أن التنازعات المكوِّنة للعالم الاجتماعي تخص مختلف الحقول وليست مجرد صراع بين طبقات معينة وثابتة أي بين طبقة وطبقة اخرى وإنما أيضا بين الطبقة نفسها(مثلا، ليست بين الأغنياء والفقراء فقط، بل بين الأغنياء والأغنياء وأيضا بين الفقراء والفقراء.

الهابتوس :

من المفاهيم الأساسية عند بورديو. و"يعرف بأنه: نسق الاستعدادات الدائمة والقابلة للنقل التي يكتسبها الفاعل الاجتماعي من خلال وجوده في حقل اجتماعي بالعالم الاجتماعي حيث يعيش". ويترجم هذا المصطلح في العربية بلفظ التطبُّع أو السجيّة أو السَّمْت. ولعل اللفظ الأخير أقرب لأداء المعنى المطلوب، من حيث إنه يدل أصلًا على الهيئة أو الْحال، على الرغم من أن لفظ المَلَكة كما استعمله بالخصوص ابن خلدون يُمكنه أداء المعنى نفسه، خصوصا أن الأمر يتعلق بمفهوم يجد جذوره في فلسفة أرسطو. ويلعب هذا المفهوم دورا مركزيا في عمل بورديو النظري، إلى جانب مفهومي الحقل والعنف الرمزي. فالفاعل الاجتماعي يكتسب، بشكل غير واع، مجموعة من الاستعدادات من خلال انغماسه في محيطه الاجتماعي تمكِّنه من أن يُكيِّف عمله مع ضرورات المعيش اليومي (مثلا، يُطوِّر الفلاح عادات ذهنية وسلوكية معينة يُطبِّقها على كل المشكلات التي يواجهها في وسطه). ويختلف الهابتوس باختلاف الحقول التي يكون الفاعل الاجتماعي طرفا فيها وباختلاف الموقع الذي يحتله في مجاله الخاص.

ويرتبط الهابيتوس برأس مال معين حسب بورديو ويكون بالترتيب:

1- الرأسمال المادي

2- الرأسمال الثقافي
3- الرأسمال الاجتماعي
4- الرأسمال الرمزي.

الانعكاسية :

ظل بورديو يؤكد أن مكتسبات البحث العلمي يجب أن تُسلَّط على تحليل شروط اشتغال الباحث نفسه بما هو ذات مُنتِجة للمعرفة، أي لا بد من ممارسة تفكير انعكاسي على ضوء نتائج العلم، خصوصا العلم الاجتماعي. ومن هنا تأتي ضرورة أن يقوم الباحث الاجتماعي بتحليل عمله وخطابه ونشاطه تحليلا انعكاسيًا (ذاتيًا). ولعل أبرز تطبيق لهذا يوجد في كتاب الإنسان الأكاديمي الذي تناول فيه بورديو مجموع الشروط التي تُحدِّد بروز واشتغال المتخصص كأستاذ جامعي أو مثقف أكاديمي. وتتمثل أهمية الانعكاسية في كونها تجعل الباحث يستعمل الاكتشافات المترتبة على ممارسته العلمية ليغربل دوره وليكشف العوامل الناتجة عن تاريخه الشخصي التي تَشرُط حاله كذات مفكرة والتي تؤثر على ممارسته العلمية وتُشوِّش رؤيته للمجتمع بدون وعيٍ منه في غالب الأحيان. ولذا يعد التحليل الانعكاسي، بما هو تحليل-اجتماعي، شرطًا لا غنى عنه لكل ممارسة علمية حقيقية.